الشكر دائما وأبدا

إن النفوس قد جبلت علي حب وصول الخير إليها أيا كان نوع هذا الشيء وبطبيعة الحال فإن من أعطي يحتاج أن يستمع إلى معسول كلام الناس أو الثناء عليه، بل وربما يكون قد استحوذ علي قلوب من أعطاهم وكما يقول القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ::: فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:**"تهادوا عباد الله فإن الهدية تذهب وحر الصدور-**، فإن هناك معطي وهناك آخذ في عرف الناس وذلك يستوجب الشكر فما بالك إذا كان كل نعمة تحيط بك هي من المعطي والمنعم جل جلاله، فإن ذلك يستوجب منا الشكر علي الدوام.

مفهوم الشكر:

هو الثناء علي المنعم بما أولاك إياه من معروف وشكر العبد يدور علي ثلاثة أركان لا يكون شاكرًا إلا بجموعها:

الاعتراف بالنعمة باطناً فالشكر يتعلق بالقلب وهو للمعرفة والمحبة

التحدث بها ظاهراً أي باللسان للثناء والحمد.

الاستعانة بها علي طاعة الله لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن المعاصي.

وهكذا يكون الشكر مقروناً بهذه الثلاثة.

تقسيم الناس إلى قسمين:

- شاكراً.. فأحسن الأشياء إليه الشكر وأهله.

- كفوراً.. أبغض الأشياء إليه الكفر وأهله.

قال الله تعالى:{إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣].

قال تعالى:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧].

فعلق سبحانه وتعالي المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره.

وقد وقف الله سبحانه كثيرا من الجزاء علي المشيئة.

قال في الغني:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾} [التوبة: ٢٨].

قال في المغفرة:{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾} [المائدة: ٤٠].

قال في التوبة:{ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾} [التوبة: ١٥].

وأطلق سبحانه جزاء الشكر إطلاقا حيث قال:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾} [آل عمران: ١٤٥].

أهل الشكر مخصوصون بمنته:

فقد قرب الله سبحانه وتعالي الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا أو آمنوا به.

يقول الله تبارك وتعالي:{مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ

وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾} [النساء: ١٤٧].

وأخبر أيضا أنهم مخصوصون بمنته عليهم فيقول:{وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾} [الأنعام: ٥٣].

ولما عرف إبليس قدر الشكر جعل غايته في قطع الناس عنه، قال الله تبارك وتعالي:{ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾} [الأعراف: ١٧].

وصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من العباد{ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٣].

الشكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح:

ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قام حتى تفطرت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال:**"أفلا أكون عبداً شكوراً".**

عند مسلم قال صلى الله عليه وسلم :**"إن الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها".**

قال الحسن: أكثروا من ذكر هذه النعم فإن ذكرها شكر، وقد أمر الله نبيه أن يحدث بنعمه ربه فقال:{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}

[الضحى: ١ - ١١].

فإن الله يحب أن يري أثر نعمته علي عبده فيذكرها.

كان أبو المغيرة إذا قيل له: كيف أصبحت يا محمد؟ قال:**"أصبحنا مغرقين في النعم، عاجزين عن الشكر، يتحبب إلينا ربنا وهو غني عنَّا، ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون-**.

قال يونس بن عبيد: جاء رجل لأبي تميمة فسأله: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي.

الشكر هو: (ألا تستخدم بنعم الله في معصيته).

الشكر هو: (أن تشكر الله علي كل نعمة وشكرك على كل نعمة يعد نعمة أخري فهذا هو الشكر).

عن سفيان في قوله:{سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٨٢]، يبغ عليهم النعم ويمنعهم من الشكر.

* شكر الجوارح: (العينين - الأذنين - اللسان - اليدين - الرجلين).

- والشكر لا يكون باللسان، وإنما قولا وعملاً، يقول تعالى: { يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٣].

ومن شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر.

كتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد:

فقد أصبح بنا من نعم الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه فما ندري أيهما نشكر، أجميل ما يسر أم قبيح ما ستر؟!!

* * *